(1-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

بقلم صخر حبش (أبونزار)

- امريكا دعمت التوجه الاستعماري لعام 1905، لاقامة دولة يهودية في فلسطين والفلسطينيون ردوا مطالبين بالاستقلال.
- بريطانيا استطاعت وقف اضراب ال 36 بفضل خداع القادة العرب للشعب الفلسطيني ومطالبته بالتريث والهدوء.
- خطة بيل لعام 37 كارثة مزدوجة فهي اعطت دولة لليهود في فلسطين وما تبقى منها الحق بالاردن
- زعماء الصهيونية ادركوا ان واشنطن ستقود الغرب وبدأوا بنسج علاقات وطيدة معها لتتبى اهدافهم.

"الحلقة الاولى"

تلعب الجغرافيا دورا قدريا وقسريا في السياسة المحلية و الاقليمية والدولية. ولموقع فلسطين اثره البارز في تبوئها للمكانة السياسية التي تحتلها، وفي المجالات المختلفة. وعلى الرغم من عدم ذكر فلسطين في وثيقة الاستعمار، التي صدرت عن مؤتمر لندن عام 1907، فان موقعها كان يدل عليها. لقد جاء في الوثيقة التي وضعت باشراف السير هنري كامبل بنرمان رئيس وزراء بريطانيا، من اجل الحفاظ على مصالح الدول الاستعمارية، ما يلي. ((ان الخطر يكمن في هذه المنطقة بالذات و بصورة خاصة في تحررها وتثقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها، لذلك فعلى الدول ذات المصلحة، ان تعمل على استمرار تاخرها وتجزئتها وابقاء شعوبها مفككة جاهلة متناحرة، وعليها محاربة اتحاد هذه الشعوب وارتباطها باي نوع من انواع الارتباط الفكري او الروحي او التاريخي، وايجاد الوسائل العملية القوية لفصلها بعضها عن بعض، وكوسيلة اساسية مستعجلة ولدرء الخطر، توصي اللجنة بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة، عن جزئها الاسيوي، وتقترح لذلك اقامة حاجز بشري قوي و غريب، على الجسر البري الذي يربط اسيا بافريقيا، ويربطهما معا بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة))[1].

وتطل فلسطين من خلال هذا التحديد الواضح لتعانق قدرها التاريخي، الذي جر عليها عبر العصور مغانم ومغارم، كانت هي البوتقة التي انصهر فيها شعب فلسطين، القوم الجبارون، حماة الانبياء و المقدسات وضحايا غزوات التتار و المغول و الصليبيين. واخيرا الصهاينة.. فمع صدور توصية مؤتمر لندن، هبت موجة الهجرة الصهيونية الثانية، التي تطلعت الى فلسطين ليس كملجأ، وانما بمثابة قاعدة استراتيجية لبعث ((الشعب اليهودي))، بالمواصفات التي تريدها القوى الاستعمارية. وقد ضمت هذه الموجه افراد الصفوة الحاكمة في((اسرائيل)) وفي مقدمتهم بن غوريون واشكول(ويتميز اعضاء هذه الموجة بانهم حملة ايديولوجية الريادة، وافكار الصهيونية العمالية(كما عبر عنها شيركين وبورخوف) من

مطالبة بالاعتماد على الذات وممارسة العمل اليدوي، وابراز للهوية اليهودية، وقد ترجمت هذه الافكار نفسها في شكل مؤسسات عسكرية، زراعية استيطانية مثل الكيبوتيس والحارس، وفي شكل سلوك قومي/ ديني متطرف مثل الاصرار على العادات اليهودية، و التحدث بالعبرية، وبينما اعتمد اعضاء الموجة الاولى على الفلاحين العرب، ولم يقووا على الاستمرار دون معاونة المليونير اليهودي روتشيلد نجد ان اعضاء الموجة الثانية، هم اصحاب فكرة اقتحام الارض و العمل)[2] .

جذور تبلور الاستقلالية الفلسطينية

اذا كانت رؤية القوى الاستعمارية، ان مفصل فلسطين هو الاساس في تحقيق وحدة الامة العربية وتماسكها، فان شعب فلسطين، كان اول من ادرك هذه الاهمية. وكان رجالاته اول من دعوا الى الحرية، و الوحدة على مستوى الامة العربية.. ولكن طبيعة المعركة التي فرضها الاستعمار، على الوطن العربي جعلته يتمزق بتعدد اعدائه المحليين. ففي سوريا و لبنان و المغرب العربي، كان العدو الرئيسي يتمثل في الاستعمار الفرنسي. وفي العراق و الاردن و مصر، كان الاستعمار البريطاني هو العدو الرئيسي، وقد تميزت فلسطين عن كل هؤلاء بعدو كالسرطان غريب عن كل الجسم ومعاد له ولكنه في القلب استقر، والقلب لا يمكن استئصاله مع الداء، فلا بد من استئصال الداء و المحافظة على القلب، فكان على فلسطين ان تواجه بكل طاقاتها، غزوة الصهاينة المدعمة من قبل الاستعمار البريطاني. وكان على الجسم كله ان يساهم في دعم الشعب الفلسطيني، لمقاومة نقيضه الذي اطلق عليه بلفور اسم الشعب اليهودي، لقد بدات فكرة الدولة الفلسطينية تشق طريقها الى الوجود مع بروز الدعوة الى اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وقد اصبحت الشخصية العربية الفلسطينية المستقلة، ضرورة ملحة في قاموس العمل السياسي و النضالي الفلسطيني منذ صدور وعد بلفور، الذي حدد بشكل واضح تبني بريطانيا لانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين مشيرا الى شعبها العربي الفلسطيني الاصيل كمجرد اقلية سكانية وصفت بالطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين و التي تكرم الوعد بعدم الانتقاص من الحقوق المدنية و الدينية التي تتمتع بها. ولقد وجد التوجه الفلسطيني الوحدوي، ضرورة التمايز الاستقلالي في اطار الوحدة الشاملة.

وقد تبنت الجمعية الاسلامية - المسيحية، موقف الاستقلال الداخلي ضمن الوحدة. (وقد عبرت الجمعية عن هذا الموقف بمذكرة تقدمت بها الى معتمدي الدول في القدس، و الى الحاكم العسكري البريطاني، في 24 آذار 1919، قالت فيها: ((حيث ان الدول العظام قد منحت بموجب النشرة الانجليزية - الفرنسية (التصريح البريطاني - الفرنسي في 7 تشرين الثاني نوفمبر 1918) الاختيار للشعوب المحررة، تشكيل حكومات تبني سلطتها على اختيار الاهالي الوطنيين ولهذا، فنحن نطلب بلسان عموم الاهالي ان يكون لفلسطين حكومة دستورية مستقلة استقلالا داخليا. تتأسس على اختيار الاهالي، الوطنيين، وتسن لنفسها قوانين خاصة بها. وفقا لرغائب سكانها، مرتبطة بسياسة سوريا العربية المستقلة استقلالا تاما. واننا نطلب منع المهاجرة الصهيونية الى فلسطين، وان لا يمس استقلالنا الداخلي باية صورة كانت))[3] .

ومع احتلال الجيش الفرنسي سوريا، وانهائه استقلالها توجهت الدعوة الفلسطينية بمجموعها باتجاه فلسطين، و استقلالها ومنع استشراء الداء الصهيوني في اوصالها. وعبر المؤتمر الفلسطيني الثالث، الذي عقد في حيفا من 13- 19 كانون اول ديسمبر 1920 عن واقع الحركة الوطنية الفلسطينية، واسقاط شعار سورية الجنوبية و المناداة لاول مرة بشكل رسمي بحكومة وطنية فلسطينية. وقد طالب المؤتمر بريطانيا ب(بان تبادر الى تشكيل حكومة وطنية مسؤولة، امام مجلس نيابي، ينتخب اعضاءه

الشعب المتكلم باللغة العربية القاطن في فلسطين حتى اول حرب)[4] .

كانت الشخصية الفلسطينية المستقلة، تتبلور تدريجيا بحكم طبيعة المعركة الوطنية، التي تخوضها ضد الصهيونية بشكل خاص. فبدل ان ينصب رفضها ونضالها ضد الانتداب ووجوده، انصب ضد سياسة الانتداب الرامية الى انشاء الوطن القومي اليهودي. واصبح التطلع نحو انشاء حكومة وطنية فلسطينية، بمباركة بريطانيا، هدفا يحمل في طياته الطريق الى التحقيق المستقبلي للدولة الفلسطينية المستقلة. ولقد جاءت الدعوة الفلسطينية الصريحة، بانشاء الدولة عندما شن الشعب الفلسطيني ثورته الوطنية الكبرى عام 1936 ضد الانتداب البريطاني و الوجود الصهيوني على حد سواء. وقد عبر عن هذا الموقف، البيان الذي اصدرته قيادة الثورة العربية العامة في سوريا الجنوبية - فلسطين في 28 آب ،1936 و الذي حددت فيه طبيعة الدولة، التي تنشأ بالكفاح و قوة السلاح الذي يؤدي الى:

(سقوط الحكم الاجنبي الحاضر في فلسطين، لمنافاته حقوق الشعب المشروعة، وقيام حكومة ثورية مؤقتة، تستمد وجودها من ارادة الامة، الى ان تنسحب الجيوش البريطانية، وتمنع الهجرة اليهودية منعا باتا وتجلي الجماعات التي هبطت فلسطين على اساس وعد بلفور الباطل، ويقوم مجلس تأسيس من ارادة الشعب يضع دستورا للبلاد يعين شكل الدولة. وتقوم بمقتضاه حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي، تنتخبه الامة انتخابا حرا)[5].

لجأت بريطانيا الى الامير عبدالله والى الملوك و الرؤساء العرب، ليقوموا بدورهم في اجهاض الثورة، التي يشعلها شعب فلسطين. الذي اعلن اضرابه التاريخي الطويل، وحربه الشعواء على المستوطنين الصهاينة، وحماتهم جنود الانتداب. ولم يتورع الملوك و الرؤساء العرب من القيام بدور الخداع للشعب الفلسطيني، فاصدروا في 9 اكتوبر 1936 نداءهم المشؤوم:

((حضرة رئيس اللجنة العربية العليا..

الى ابنائنا عرب فلسطين.

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق من اخواننا ملوك العرب والامير عبدالله، ندعوكم للاخلاد الى السكينة، حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم))[6].

خطة بيل... كارثة أخرى

ولقد ظهرت النوايا البريطانية الحسنة، على يد اللجنة الملكية التي تراسها اللورد بيل، و التي حاولت ان تفرض على الشعب الفلسطيني مصيبتين بحجر واحد. اولهما تقسيم بلادهم، واقامة دولة يهودية على جزء منه، و الثاني الحاقهم وضم ما تبقى من بلادهم الى امير شرق الاردن عبدالله. وللتذكير نورد هنا ما جاء في توصية اللجنة، في 7 تموز 1937 ((انهاء اجل الانتداب على فلسطين واستبداله بنظام معاهدات يتفق مع السابقة، التي درج عليها في معاهدتي العراق و سوريا))، كما اوصت بان: ((تعمد الدولة المنتدبة الى المفاوضة مع حكومة شرقي الاردن، وممثلين لعرب فلسطين من جهة، ومن الجمعية الصهيونية من الجهة الاخرى، لعقد معاهدة تحالف مع كل من الفريقين وان يعلن في هاتين المعاهدتين عن تشكيل دولتين مستقلتين ذاتي سيادة، في اقصر مدة تسمح بها الاحوال، احداهما عربية تتالف من شرق الاردن، متحدا مع ذلك القسم من فلسطين الواقع الى الشرق و الجنوب من الحد المتاخم للدولة الثانية، و

الثانية دولة يهودية تتألف من ذلك القسم من فلسطين الواقع الى الشمال و الغرب من ذلك الحد))[7].

كان من الطبيعي ان يواجه مشروع التقسيم هذا، برفض قاطع من قبل الشعب الفلسطيني، ولكنه اثار داخل الحركة الصهيونية، موجة من النقاشات الحادة، خاصة عندما اعلن بن غوريون عن موافقته على المشروع، (عندما طرحت خطة بيل للنقاش في المؤتمر الصهيوني العشرين كان بن غوريون (الذي كان انذاك رئيسا لحزب العمال الصهيوني((ماباي)) اكبر الاحزاب السياسية) اكثر الداعمين للتقسيم، ولكن ذلك، لم يعن انه تنازل عن حق اليهود في كل فلسطين. وكانت اسباب بن غوريون تكتيكية ومنسجمة تماما مع الرؤية الصهيونية بحدها الاعلى)[8].

ولقد عبر بن غوريون عن وجهة نظره باصرار وقال ان خطة بيل (لم تكن اقل الشرور، وانما كانت انتصارا سياسيا، وفرصة تاريخية، لم تسنح منذ تدمير الهيكل الاول، انني ارى في التحقيق العملي للخطة مرحلة حاسمة لبداية التحرير الكامل، واقوى رافعة للسيطرة التدريجية على كل فلسطين))[9] واشار بن غوريون الى ان عرض بيل(يعطينا قاعدة استراتيجية للانطلاق و القتال.. واول وثيقة منذ الانتداب، تقوي معنوياتنا ووضعنا السياسي، انها تعطينا السيطرة على شاطئ فلسطين، والهجرة الكبيرة، والجيش اليهودي، والاستعمار المنظم تحت سيطرة الدولة[10].

وفي ظل هذه العروض، ومحاولات التسوية، استطاعت بريطانيا ان تقضي على الثورة العربية الكبرى في فلسطين، وان تطوي صفحة هامة من تاريخ نضال شعب، تكالبت عليه المؤامرات من كل جانب، وقامت بريطانيا وهي تعبر نفق الحرب العالمية الثانية، بخطوة استرضاء تجاه الحكام العرب، الذين لم يخذلوها، بان اصدرت الكتاب الابيض لعام 1939، والذي وضعت فيه قيود على الهجرة اليهودية، وحدت من حرية انتقال الاراضي لليهود والاهم من كل هذا انه طوى فكرة تقسيم فلسطين الى دولتين واحدة يهودية واخرى عربية باعتبار انه مشروع غير عملي وطالب باقامة دولة فلسطينية مستقلة، على كل فلسطين، يشارك فيها العرب واليهود، في الحكم، يتم انشاؤها خلال عشر سنوات.

وقد انقسم الرأي الفلسطيني، بين قبول المشروع الجديد ورفضه. وناقشت اللجنة العربية العليا المشروع من كل جوانبه. وقد وصف المرحوم احمد الشقيري، ما جرى داخل اللجنة في كتابه اربعون عاماً في الحياة العربية والدولية بقوله:

(لم يكن الكتاب الابيض، محققاً لمطالبنا القومية بكاملها، بل لم يكن يخلو من فجوات وسقطات، ولكنه كان خطوة على الطريق، وكانت جميع الدول العربية، برسلها وسفرائها في بيروت، تلح على اللجنة العربية العليا، بقبول الكتاب الابيض، كحل مرحلي، يضع زمام الامور بايدينا، معظمه ان لم يكن كله، فقد كانت الحكومة الفلسطينية المقترحة، ثلثيها من العرب، وثلثها من اليهود. ولقد انقسمت اللجنة العربية العليا حول الكتاب الابيض، ما له وما عليه، رجحت فيها بالنهاية، كفة الكتاب الابيض والعمل على تحقيقه، حتى تصير بايدينا مقاليد امورنا في بلادنا، وفريق آخر وهو الاقلية، وعلى رأسه الحاج امين، يرى ان نرفضه، لانه لا يحقق مطالبنا القومية. وقد اعدت دراسة وافية عن الكتاب الابيض، ما له وما عليه، رجحت فيها بالنهاية قبول الكتاب الابيض، وفي ختام الاجتماعات اشتدت معارضة الحاج امين للكتاب الابيض، وكان معروفاً يومئذ في الاوساط الرسمية ان الحكومة البريطانية مستعدة ان تتعاون في تنفيذ الكتاب الابيض مع جمال الحسيني، لا مع الحاج امين.. ولكن الحاج امين ضعف في تلك الفترة امام نوازعه الشخصية، فازداد عداء للكتاب الابيض، ولانصار الكتاب الابيض. وبات يشير، الى ان المجاهدين لا يوافقوا على الكتاب الابيض، ولكن اكثرية اللجنة العربية العليا، جمال الحسيني واحمد حلمي وعوني عبد الهادي وحسين الخالدي وغيرهم، قد رضخوا امام رفض المجاهدين كما عبر عنه الحاج امين، وفي 29 ايار 1939 اعلنت اللجنة العربية العليا قرارها بالاجماع برفض الكتاب الابيض، وسكتت الدول العربية، تاركة للحاج امين يتحمل مسؤوليته التاريخية)[11].

اما على الجانب الصهيوني، فقد واجه الكتاب الابيض، رفضاً قاطعاً، وبالاجماع على جميع المستويات، وقد تم التعبير عن هذا الرفض باشكال مختلفة، وصلت الى حد استخدام السلاح، والقيام باعتداءات ضد البريطانيين والعرب الفلسطينيين. وقام الصهاينة بحملة صاخبة لمحاولة اسقاط المشروع، على الرغم من حصوله على موافقة مجلس العموم واللوردات في مقدمة لعرضه امام لجنة الانتدابات الدائمة، ومجلس عصبة الامم. وقد ظهر التأثير الصهيوني عند التصويت، على سياسة الكتاب الابيض، في لجنة الانتدابات الدائمة. حيث وقفت الاغلبية (اربعة اعضاء) ضد هذه السياسة لعدم تطابقها مع ما جاء في صك الانتداب من تأمين انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. بينما فسرت الاقلية (ثلاثة اعضاء)، موقفها بان الامر الواقع يبرر سياسة الكتاب الابيض. وفي انتظار مجلس عصبة الامم، للنظر في توصية لجنة الانتداب، اندلعت الحرب العالمية الثانية، التي انطوت في خضمها كل صفحات المشاكل المحلية والاقليمية. ولكن الصهاينة، لم يتوقفوا عن حملتهم الشعواء ضد بريطانيا، وسياسة الكتاب الابيض. وقد وجد الصهاينة ان الانتداب وسياسته المتبعة لا يمكن ان تسفر عن انشاء وطن قومي لليهود، وان عليهم ان يبحثوا عن السند الا قوى في التركيبة الامبريالية والذي سيكون من مصلحته مساندة المشروع الصهيوني في فلسطين. كان واضحاً ان امريكا سوف تتبوأ موقع زعامة الامبريالية العالمية، على انقاض دور الزعامة البريطانية المتهاوية. ووجدت الحركة الصهيونية ضالتها مدعومة بما يتمتع به يهود الولايات المتحدة من نفوذ وتأثير. وقام بن غوريون بعقد مؤتمر صهيوني في مدينة نيويورك في ايار 1942، حضره حوالي ستمائة مندوب يشملون قيادات يهودية من فلسطين، ومن اوروبا والولايات المتحدة. واطلق على المؤتمر اسم بلتيمور وهو اسم الفندق الذي تم فيه الاجتماع. وكان المحور الاساسي لمؤتمر بلتيمور، ان (تقوم في فلسطين دولة يهودية ديمقراطية متكاملة في بنيتها مع العالم الديمقراطي الجديد، واعلن ان الانتداب البريطاني، لن يستطيع تأمين انشاء الوطن القومي ولم يذكر موضوع الحدود عمداً في القرار النهائي، ولكن تطبيق مشروع الدولة الديمقراطية كان واضحاً، ففلسطين ستكون دولة يهودية ولم يعد العرب طرفاً في المفاوضات، وليس لهم اي دور، في رسم مستقبل البلاد)[12] وقد استطاع بن غوريون تمرير القرار معتمداً على الدعم الذي حظى به من الصهاينة الامريكان، وقد عبر بن غوريون عن استراتيجيته الشاملة، امام اجتماع مجلس الهستدروت في كفار فتكن بقوله: (لذلك بلورنا مطلبنا ليس بدولة يهودية في فلسطين، ولكن لفلسطين كدولة يهودية "وقد نصح بشكل خاص"، عدم ربط برنامج بلتيمور، بدولة يهودية على جزء من فلسطين)[13].

واخذ الدعم الامريكي، للحركة الصهيونية يتخذ مجرى الضغط على الحكومة البريطانية، لتجاوز السياسة التي طرحها الكتاب الابيض، وكانت الا جراءات النازية ضد اليهود وموضوع انقاذهم من المجازر، تلعب دوراً اساسياً، في الضغط على التعنت البريطاني ضد موضوع هجرة اليهود، بالطرق غير المشروعة، وقد عبر بلاغ المندوب السامي البريطاني الخاص بالهجرة اليهودية غير المشروعة، الصادر في نوفمبر 1940 عن هذا الموقف حيث جاء فيه:

"لا تفتقر حكومة جلالته الى الاحساس بمشاعر العطف، على المهاجرين من البلاد التي يسيطر عليها الالمان، ولكن الحكومة مسؤولة عن ادارة فلسطين، وهي ملزمة بان تحرص على عدم السماح علناً بخرق القوانين، يضاف الى هذا انها تعتبر تجدد الهجرة اليهودية اللامشروعة في الوقت الحاضر، خطراً يؤثر تأثيراً سيئاً على الاوضاع المحلية، ويمثل تهديداً جدياً للمصالح البريطانية في الشرق الاوسط[14]، ولقد استند حزب العمال البريطاني المعارض على موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين، وسياسة الكتاب الابيض في حملته على حكومة تشيرتشل حيث جاء في قرار مؤتمر الحزب عام 943 (ان النصر يجب ان يؤمن لليهود مساواة تامة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحقوقهم القومية. ويؤكد من جديد سياسة حزب العمال التقليدية التي تحبذ بناء فلسطين كوطن قومي لليهود، ويطلب ان تعطى الوكالة اليهودية السلطة لان تستغل لاقصى حد قدرة البلاد الاقتصادية، لاستيعاب المهاجرين وان تنمي القطر

بما في ذلك الاراضي الخالية وغير المستغلة)[15] وقد ذهب حزب العمال في اتكائه على دعم الصهاينة في حملته ضد الحكومة لدرجة وضع مشروع تسوية بعد الحرب لصالح الصهاينة وعلى حساب الشعب الفلسطيني. لقد جاء في تصريح الحزب بشأن التسوية الدولية، بعد الحرب ما يلي: (ها نحن قد وقفنا في مفترق الطرق، حائرين بين السياسات المتناقضة. لكن الشيء الاكيد هو انه لا امل ولا معنى لـ (وطن قومي لليهود)، ما لم نكن على استعداد للسماح لليهود (ان هم رغبوا) في دخول هذه البلاد الصغيرة (فلسطين)، باعداد كبيرة ليصبحوا اكثرية. لقد كانت هناك قضية قوية لهذه الغاية قبل الحرب، وتوجد اليوم قضية لا تقاوم، بعد وقوع الفظائع التي لا توصف لخطة النازي المرسومة عمداً لقتل جميع يهود اوروبا، ويوجد هنا في فلسطين بالتأكيد ايضاً قضية تقوم على اعتبارات انسانية لانجاح استيطان ثابت ونقل السكان. فليشجع العرب على الخروج، بينما اليهود يدخلون. وليجزل لهم في التعويض عن اراضيهم وينظم استيطانهم بعناية في اماكن اخرى ويمول بكرم، ان للعرب مناطق واسعة، تخصهم وحدهم، فيجب الا يطالبوا باخراج اليهود من فلسطين الضيقة التي تقل عن مساحة ويلز، وبالحقيقة يجب علينا ان نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية، بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الاردن)[16].

واشنطن تواصل ضغطها على لندن

ومع نهاية الحرب، ونجاح حزب العمال البريطاني في الانتخابات، تولى اتلي رئاسة الوزارة خلفاً لتشيرتشل، وتسلم بيفن مسؤولية وزارة الخارجية .. واستمر الضغط الامريكي على حكومة بريطانيا بشأن هجرة اليهود، وحل المشكلة في فلسطين وقد تشكلت لجنة بريطانية امريكية، أعلن عن تشكيلها رسمياً في 10 كانون الاول 1945، وانتهت استقصاءاتها وقدمت تقريرها في 20 نيسان 1946، وقد تلخصت مقترحات اللجنة، بان فلسطين لن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية يجب ان تكون في النهاية دولة تحافظ على حقوق ومصالح المسلمين واليهود والمسيحيين على حد سواء، ويمنح سكانها حق الحكم الذاتي، وتكون دولة مفتوحة لكل من يشاء العيش فيها، وليست مفتوحة فقط لليهود. واخيراً طالبت اللجنة بالموافقة على هجرة مئة الف يهودي الامر الذي جعل ترومان يوافق على التوصية، من اجل تحقيق الهجرة دون النظر الى باقي تفاصيلها. ووقف العرب يرفضون توصيات اللجنة لمخالفتها الصريحة لسياسة الكتاب الابيض، ووجد اتلي وبيفن ان مصالح بريطانيا ستتعرض للخطر، اذا رضخوا للضغط الامريكي الصهيوني، وشكلت لجنة خبراء امريكية بريطانية منيت جهودها بالفشل. وتقدم بيفن بمشروعه في 4 شباط 1947 الذي انحى باللائمة فيه على الظروف التاريخية التي حالت بين الحكومة البريطانية وانجازها مهمة اشراك اهالي البلاد في الادارة، وبين ان النتائج الوخيمة التي وصلت اليها الحالة سببها (ان اليهود ضلوا ضلالاً كبيراً. وان الذي شجعهم على اقتراف آثامهم على الاخص هو الولايات المتحدة الامريكية، لا العرب ولا بريطانيا العظمى[17] واقترح في النهاية (ان تتولى الحكومة البريطانية الوصاية على فلسطين لمدة خمس سنوات بهدف معلن هو تهيئة البلاد للاستقلال)[18] ولم يجد مشروع بيفن القبول من العرب او اليهود، فتمت احالة القضية الفلسطينية برمتها الى الولايات المتحدة. وقد تمت الدعوة لدورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة، عقدت في شهري نيسان وايار 1947، وبعد مداولات طويلة تقرر في 15 ايار تشكيل لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين والتي تحددت مهمتها بدراسة الوضع بشمولية ووضع التوصية المناسبة. وقد توصلت اللجنة الى مشروعين، احدهما حظي بموافقة الاغلبية ويقترح بتقسيم فلسطين الى دولتين واحدة يهودية والاخرى عربية وكيان دولي منفصل لمدينة القدس ووحدة اقتصادية بين الدولتين، اما مشروع الاقلية، فقد اقترح انشاء دولة ثنائية القومية قوامها دولة عربية ودولة يهودية وتكون القدس عاصمة الدولة الاتحادية.

ووضعت الولايات المتحدة كل ثقلها، من اجل تمرير قرار التقسيم، وكان هذا ما ينسجم تماماً مع المخططات الصهيونية والامبريالية التي مارست ضغوطها في كل الاتجاهات، وقد عبر الكثيرون عن استيائهم من الطريقة التي اتبعتها الادارة الامريكية، للتوصل الى اقرار مشروع التقسيم باعتباره يتنافى مع ابسط قواعد الحق والعدل، ومع اسس القانون الدولي. وقد انتقد رئيس جامعة بيروت الامريكية، الدور الذي لعبته امريكا في هذا المجال بقوله: (ان المناورة السياسية التي ادت الى موافقة الجمعية العامة للامم المتحدة نهائياً على تقرير اغلبية لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين انما تعد صفحة من اسود الصفحات في تاريخ السياسة، الدولية الامريكية، وليس ثمة شك في ان الضغط الامريكي، هو الذي ادى الى قبول توصية تقسيم فلسطين مع وحدتها الاقتصادية، عندما اقترعت عليها الجمعية العامة في 29 نوفمبر 1947، وان هذا الضغط الامريكي الفعال، لاقرار التقسيم، هو الذي يعزى اليه عامة سبب الانهيار الفظيع الذي تعرضت له السمعة الامريكية في جميع انحاء العالم العربي والاسلامي)[19].

كانت بريطانيا تعارض التقسيم لتناقضه مع مصلحتها في استمرار سيطرتها على فلسطين عبر مشروع الوصاية الذي طرحه بيفن، وكان الاتحاد السوفييتي يتبنى مشروعاً، ينادي بقيام دولة ديمقراطية مستقلة في فلسطين، لكن قرار اللجنة الفرعية جاء ينص على: (على اللجنة الخاصة ان تعد تقريراً ترفعه الى الجمعية العمومية، وان تضع المقترحات التي تراها ملائمة لحل مشكلة فلسطين)[20] وحاول المندوب السوفيتي والمندوب الهندي اجراء التعديل على هذا النص، باضافة (بما في ذلك اقامة دولة فلسطين الديمقراطية)[21]، ولكن هذا التعديل هزم بالتصويت، وقد ادى موقف الدول العربية المعادي للاتحاد السوفييتي والمتواطئ مع بريطانيا، الى جانب عوامل اخرى، بتغيير موقف الاتحاد السوفييتي، من الدعم السافر للدولة الديمقراطية المستقلة في فلسطين الى انشاء دولة خاصة باليهود، بعد ان وجدوا ان مشروعهم لن توافق عليه امريكا وان التقسيم هو اهون الشرور، الى جانب انه (قد اصبحت مصلحة حيوية للسوفييت انهاء القوات البريطانية من الشرق الاوسط التي كانت تعتبرها منطقة حساسة بالنسبة لامنها، كما ان السياسة البريطانية بالنسبة للصهاينة، كانت العقبة الكبرى في وجه خلق الدولة اليهودية، وتحت تأثير نضال اليشوف ضد البريطانيين استنتج السوفييت ان اليهود مؤهلون لاجلاء البريطانيين اكثر من الانظمة العربية، الاقطاعية الفاسدة)[22] لقد كان هذا هو خلفية ما قاله غروميكو في 14 ايار 1947، مخاطباً الامم المتحدة (ما من دولة اوروبية غربية كانت قادرة على ضمان الدفاع عن الحقوق الاولية للشعب اليهودي وحمايته من الجلادين الفاشيين، وهذه الحقيقة توضح طموحات اليهود في اقامة دولتهم الخاصة بهم، وانه لمن غير العدل انكار حق الشعب اليهودي في تحقيق هذا الطموح)[23] لقد كان حديث غروميكو شيئاً هاماً بالنسبة لليهود، فالسوفييت الى جانب امريكا هما الضمان الاكيد لفض قضيتهم دولياً (كثير من اليهود اعتبروا كلام او حديث غروميكو وعد بلفور جديد، فبدون تصويت الكتلة السوفييتية في الجمعية العمومية في نوفمبر 1947، ما كان من الممكن ان تتم هذه الهجرة الواسعة من العسكريين اليهود وشحنات الطائرات والمدفعية والمورترز وغيرها من الاسلحة الهامة من تشيكوسلوفاكية، التي بدونها ما كان للدولة اليهودية الفتية ان تهزم الجيوش النظامية العربية)[24].

هوامش

1. الوجه الاخر د. محمود عباس ص222.
2. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية د. عبد الوهاب المسيري ص412.
3. فلسطين الدولة د. عصام سخنيني ص82-83 نص المذكرة من وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939، من اوراق اكرم زعيتر ص22.
4. محاضرات في تاريخ قضية فلسطين، احمد طربين ذكره ع. سخنيني مصدر سابق ص87.

5. تحت راية القاوقجي، خضر العلي محفوظ ذكره سخنيني، مصدر سابق ص105.
6. وثائق فلسطين، دائرة الثقافة م. ت. ف. ص244.
7. تقرير اللجنة الملكية، ذكره سخنيني مصدر سابق ص124-125.
8. The birth of Israel. Simha Flahan P.22 Ibid P. P.21-22
9. Ibid P.22 -10
10. اربعون عاماً في الحياة العربية والدولية احمد الشقيري ص190-191 ذكره سخنيني مصدر سابق ص151-152.
11. The birth of Israel P.23
12. Ibid p.24
13. وثائق فلسطين مصدر سابق ص96.
14. المصدر سابق ص 97.
15. المصدر سابق ص97-98.
16. الوثائق الرئيسية، نص كلمة بيغن ص18-19 ذكره سخنيني ص172-173.
17. المصدر سابق ص173.
18. ستيفن بيريز، المشكلة الفلسطينية ص10، ذكره هنري كتن، فلسطين في ضوء الحق والعدل ص28.
19. فلسطين الدولة، مصدر سابق ص187.
20. المصدر سابق ص187.
21. The birth of Israel P.154
22. فلسطين الدولة، ص881.
23. The birth of Israel P.159